

## الموقف الدولي والاحتلال الإيطالي لطرابلس

للدكتور محمد محمود السروجي

أثارت طرابلس اهتمام دول الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقبل أن تحتل فرنسا الجزائر في عام ١٨٣٠ . ففي تلك الفترة وقعت ثلاثة (١) أحداث هامة وجهت الأنظار إلى طرابلس ، أولها استيلاء نابليون بونابرت على مصر ومحاولة الدولة العثمانية مهاجمته من الغرب بالاتفاق مع يوسف باشا والي طرابلس . وثانيها المنافسة بين إنجلترا وفرنسا ومحاولة كل منهما جذب يوسف باشا إلى جانبها في الصراع الدائر بينهما . وثالثها تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في شؤون طرابلس عندما أراد يوسف باشا أن يفرض جعانة على السفن الأمريكية المارة أمام الشواطئ الطرابلسية .

ولم يظهر اهتمام إيطاليا بطرابلس إلا بعد أن تمت وحدتها في السبعينات من القرن التاسع عشر ، وإن كان هذا الاهتمام قد انصب بالدرجة الأولى على تونس أولاً ، ثم صرابلس ثانياً . لأسباب وإن قرب تونس لإيطاليا جعلها تستمتع بميزة لانضارعها فيها صرابلس . هذا التقارب الذي أدى في العصور القديمة إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية هامة بين هذا الجزء من شمال افريقية الذي كان يطلق عليه اسم فرطاجنة وبين إيطاليا . ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال افريقية وإيطاليا يؤثر في الآخر ويتأثر به .

ولم يكن تطلع إيطاليا إلى شمال افريقية بعد عام ١٨٧٠ مرجعه إلى ازدياد عدد السكان بقدر ما كان تخلصاً مما تعانيه من الفقر وكثرة عدد العاطلين عن العمل (٢) . ولذا بدأت تنظر إلى شمال افريقية كملجأ للمهاجرين الإيطاليين الباحثين عن العمل والثروة والنموذ .

(١) د. نقولا زيدة : محاضرات في تاريخ بيبي من الاستعمار الإيطالي الى الاحتلال

ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) محمد محمود السروجي : علاقات التونسية الفرنسية من الحماية الى الاستقلال ص ٧٢ .

وعندما انهارت قوة الدولة العثمانية أمام ضربات الروس في الحرب التركية (١٨٧٧/٧٧) عرضت إنجلترا على إيطاليا انشاء عصبة من دول البحر المتوسط لحماية مصالحهما المشتركة في هذا البحر . ولكن إيطاليا رفضت ذلك لتفضيلها البقاء على الحياد حتى لا تترج بنفسها في حرب ليست مستعدة لها . ولذا لجأت إنجلترا إلى السلطان العثماني مباشرة وعقدت معه اتفاقية قبرص . وفي نفس الوقت ضمنت سكوت فرنسا في مقابل اطلاق يدها في تونس . وبذلك أبدت إيطاليا عن مشروعات التوازن الدولي .

وحينما عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ لفض النزاع التركي الروسي بما يحقق نوعاً من التوازن في القوى بين الدول الكبرى المعنية بالأمر ، استطاعت روسيا أن يكون لها نفوذ في شرق البلقان ، بينما تمتعت النمسا بنوع من السيطرة على غربه . وأخذت إنجلترا - كما سبق أن ذكرنا - جزيرة قبرص في معاهدة سرية بينها وبين الدولة العثمانية ، وخرجت إيطاليا من هذا المؤتمر صفر اليدين ، فقامت الاضطرابات (١) في أبحاثها مطالبة بضم الترتينو وبالتوسع في تونس . وأدى ذلك - بطبيعة الحال - إلى توتر العلاقات بين إيطاليا من ناحية وبين جارتها النمسا وفرنسا من ناحية أخرى .

ويمكننا أن نقسم سياسة إيطاليا ازاء طرابلس إلى ثلاث فترات :

الفترة الأولى : وتميزت بسياسة المعارضة للتوسع الفرنسي في شمال افريقية والتصدى له . وقد اتسمت تلك الفترة بالعداء بين إيطاليا وفرنسا .

الفترة الثانية : اتبعت فيها إيطاليا سياسة المصالحة مع الدول الأوروبية الكبرى ، ولاسيما فرنسا . وفي هذه الفترة تقربت إيطاليا من إنجلترا وفرنسا . بالإضافة إلى تحالفها مع النمسا وألمانيا . وكذلك عملت على غزو طرابلس اقتصادياً تمهيداً لغزوها عسكرياً . مع وضع تلك الولاية تحت ملاحظة دقيقة حتى لا تقع في يد دولة أجنبية .

(١) محمد محمود السروجي : تواريخ أوروبا الدبلوماسية من السبعينات لثلاثينيات القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ص ١٠١ .

الفترة الثالثة : بعد أن تم لفرنسا تسوية مشكلة مراكش ، بدأت إيطاليا تنهج سياسة القوة في تحقيق أطماعها في طرابلس .

### الفترة الأولى

يرجع العداء بين إيطاليا وفرنسا الذي ظهر في أعقاب الوحدة الإيطالية واستمر حتى عام ١٨٩٦ إلى عاملين أساسيين (١) :

(أولاً) ما كانت تعانية الملكية الإيطالية من متاعب من قبل البابا ورجال الكنيسة من ناحية ، ومن قبل الأرستقراطية الاقطاعية القديمة من ناحية أخرى ، نظراً لحرماتهم من امتيازاتهم القديمة . ومما ضاعف من وطأة تلك المتاعب عطف فرنسا على مطالب البابا ورجال الدين .

(ثانياً) تعارض المصالح واصطدام الأطماع الاستعمارية لكل من فرنسا وإيطاليا في شمال افريقية ، ولاسيما في تونس .

وقد أزكى هذا العداء ما حدث أثناء انعقاد مؤتمر برلين من مساومات بين إنجلترا وفرنسا بشأن عدم اعتراض فرنسا على اتفاقية قبرص في مقابل موافقة إنجلترا على احتلال فرنسا لتونس . وكان سولسبري وزير خارجية إنجلترا يعلم في ذلك الوقت تمام العلم بأن اتفاقه مع فرنسا سيثير ثائرة إيطاليا ، لأنها ترى المحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط ، وأنها لاتقبل أى تغيير في توازن القوى في ذلك البحر دون أن تؤخذ موافقتها . ولذا لم يكن لدى سولسبري مانع من أن تعوض إيطاليا بطرابلس أسوة بفرنسا . وكان بسمرك متفقاً معه في وجهة نظره .

ولكن إيطاليا وجدت أن كلا من إنجلترا وفرنسا لا يابه كثيراً للمصالح الإيطالية (٢) .

(١) محمد خير فارس : المسألة المغربية ( ١٩٠٠ - ١٩١٢ ) ص ١٧١ .

(٢) محمد محمود السروحي : تاريخ أوروبا الدبلوماسية ص ١٠٥ .

وعندما تم لفرنسا احتلال تونس في عام ١٨٨١ ساد أهل طرابلس الشعور بالخزن على أشقيائهم في تونس ، وبالقلق على مصيرهم . فثار القبائل الطرابلسية مطالبة باخراج الفرنسيين من تونس . وهاج الفرنسيون ونادوا بتأديب تلك القبائل ، لولا تدخل إنجلترا واندازها الحكومة الفرنسية بأنها لن تسمح لها بالاعتداء على طرابلس ، لكان مصيرها نفس مصير تونس (١) .

ولكن الحكومة الفرنسية لجأت إلى سياسة التهدئة ، فأعلن وزير خارجيتها في ١٧ يوليو ١٨٨١ بأن بلاده ليست لها نوايا عدوانية تجاه طرابلس ، وكل ما يريد هو ألا تترب روح العداة لفرنسا من طرابلس إلى تونس .

وإذا كانت إنجلترا قد رضيت من قبل تعويض فرنسا بتونس . فإن امتيلاء الفرنسيين على تلك البلاد قد أثار غيرتها ، لأنها وجدت في تونس تعويضاً كبيراً لا يذانيه امتيلاء الإنجليز على قبرص . ولذا (٢) صمموا على الوقوف بكل قوة وحزم ضد تطعنات فرنسا لطرابلس ، وذلك لاجتاد نوع من التوازن في ذلك البحر . لاسيما بعد أن ساءت علاقتهم بفرنسا بعد احتلالهم مصر .

وترتب على فرض الفرنسيين الحماية على تونس أن شعر الإيطاليون بعزلتهم وذلم ، فدفعهم ذلك إلى الانضمام إلى التحالف الثلاثي (ألمانيا وفرنسا) وتكوين التحالف الثلاثي في ربيع عام ١٨٨٢ (٣) . وفي نفس الوقت شجع بسمرك على إيجاد تقارب بين إيطاليا وإنجلترا . وبذلك أصبح الاتفاق تاماً بين الدول منذ عام ١٨٨٧ فيما يتعلق بشئون البحر المتوسط . لاسيما بعد أن وقعت إيطاليا مع إنجلترا اتفاقاً سرياً ضد فرنسا وروسيا ، ينص على أن تبادل الدولتان المعونة للحفاظ على الوضع الراهن في البحرين المتوسط والأسود .

وكان يوسع إيطاليا أن تلعب دور الوسيط بين المصالح الإنجليزية والمطامع الألمانية ، نظراً لأنها تكون همزة الوصل بين الحلف الثلاثي الذي يضم ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، والحلف الإنجليزي الأيضا ، إذا ما سمح لها

(١) M.M. Safwat, *Tunis & The Great Powers*, p. 293.

(٢) محمد محمود السروجي : مصر والسنة الشرقية من ٢٠٨ .

(٣) Baument, M., *L'essor industriel et l'impérialisme*, P. 42.

الجانبيان بفرض حمايتها على مراكش . ففي هذه الحالة تستخدم من ناحية الشكل المصالح الانجليزية ، بينما تستخدم من ناحية الواقع الاطماع الألمانية . ومعنى ذلك في كلتا الحالتين حرمان فرنسا (١) .

وفي تلك الفترة رأت ايطاليا بعد أن تجمد الوضع في البحر المتوسط على هذا النحو أن تعبر عن نشاطها الزائد في منطقة أخرى من القارة الافريقية . فوقع اختيارها على البحر الأحمر وشرق افريقية ليكون نقطة ارتكاز لعملياتها التوسعية في المستقبل ، ريثما تخين الظروف الدولية المناسبة لتحقيق أطباعها في طرابلس . فاشترت شركة راباتينو Rabatino خليج عصب في عام ١٨٧٠ ، ثم حولته بعد ذلك إلى مستعمرة للتاج الايطالي في عام ١٨٨٢ (٢) .

وفي ٣ فبراير ١٨٨٥ استولت ايطاليا على ميناء مصوع بموافقة إنجلترا . ثم عقدت معاهدة اوتشالي Ucciali مع ملك الحبشة ( ٢ مايو ١٨٨٩ ) التي منحها الحق - من وجهة نظرها - في بسط حمايتها على الحبشة ، وجعلها منطقة نفوذ ايطالية (٣) . وفي عام ١٨٩٠ صدر مرسوم ايطالي بتوحيد تلك المستنكات الايطالية في مستعمرة واحدة تحمل اسم اريتريا .

ولما كانت ايطاليا ترغب في التوسع في اقليم بحري Tigre على حساب الحبشة ، فقد دفعها ذلك إلى الدخول في مغامرات بحرية غير مأمونة العواقب أدت إلى هزيمتها أمام الأحباش في موقعة عدوة (أول مارس ١٨٩٦) وإلى قبول صلح غير مشرف بالنسبة لها .

كانت موقعة عدوة نقطة تحول هامة في تاريخ السياسة الاستعمارية الايطالية ، فانهيار آمال الايطاليين في مزيد من التوسع في البحر الأحمر وشرق افريقية دفعهم إلى معاودة الاهتمام بشئون البحر المتوسط ، لاسيما

Berard, V., *Affaire du Maroc*, P. 62. (١)

Marrion, Sir, *The Makers of Modern Italy*, P. 166. (٢)

(٣) محمد محمود السروجي : العلاقات بين مصر وأثيوبيا في القرن التاسع عشر ص ٢١١

طرابلس . وقد ساعد الحكومة الإيطالية على النجاح تلك السياسة ما كانت تعانيه الدولة العثمانية من متاعب داخل ممتلكاتها : من ثورات الأرمن ، وثورة كريت (١٨٩٦) ، والحرب اليونانية التركية ، ومشاكل مقدونيا وأعمال العصابات البلغارية .

أضف إلى ذلك أن سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية قد وجدت تأييداً لدى الولايات العربية الخاضعة للحكم العثماني . لاسيما طرابلس التي كانت (١) أرضاً خصبة للمذاهب الدينية المختلفة ، مثل السنوسية والرفاعية والعبودية وغيرها . ووجدت إيطاليا في سياسة السلطان عبد الحميد خطراً على نظامها في تلك البلاد .

#### الفترة الثانية :

شعرت إيطاليا في ذلك الوقت أن تحقيق أطماعها في طرابلس يتطلب الاتفاق مع فرنسا وانتهاء فترة التوتر التي سادت العلاقات بين الدولتين منذ احتلال فرنسا لتونس . وتم ذلك في اتفاق عقد بين وزيرى خارجية إيطاليا وفرنسا فسكونتي فنوستا Visconti - Venosta والمسيو هانوتو Hanotaux في ٢٠ سبتمبر ١٨٩٦ اعترفت فيه إيطاليا بالمعاهدة التي عقدها فرنسا مع باي تونس في مقابل ضمان حقوق الجالية الإيطالية في تونس (٢) .

ولكن ضمان حقوق الرعاية الإيطاليين في تونس كان الحد الأدنى لمطالب الإيطاليين من فرنسا . إذ كانت إيطاليا تخشى أن تمتد يد فرنسا إلى طرابلس وهو الجزء الباق من ممتلكات الدولة العثمانية في شمال افريقية . وبذلك يضيع أمل إيطاليا في بسط سيطرتها عليها في يوم من الأيام . فكان

(١) Carha, Y.J., Libya under the Second Ottoman Occupation (1835 - 1811) P. 14.

(٢) Croche, B., Histoire de l'Italie Contemporaine (1871-1915) P. 220.

هما ينحصر في المقام الأول في اجبار فرنسا على الاعتراف بخروج طرابلس من دائرة المشروعات الاستعمارية الفرنسية .

ولم يكن هذا الأمر يتطلب جهوداً كبيرة من جانب إيطاليا ، لاسيما بعد أن عقدت إنجلترا وفرنسا اتفاقاً في ٢١ مارس ١٨٩٩ يعين (حدود ممتلكات فرنسا الشرقية في شمال أفريقيا : بحيث تخرج ولاية طرابلس منها (١) فإذا كانت فرنسا قد اعترفت لانجلترا بذلك ، فلم يكن لديها مانع من أن تعترف بنفس الشيء لإيطاليا .

وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومتين الفرنسية والابطالية توصل الطرفان في عام ١٩٠١ إلى اتفاق ينص على موافقة فرنسا على احتلال إيطاليا لطرابلس إذا ما حدث تغيير في الوضع الراهن في البحر المتوسط ، عن طريق بسط فرنسا سيادتها على مراكش (٢) .

ومع أن هذا الاتفاق قد أحدث تقارباً بين الدولتين ، إلا أنه لم يحل كل الخلافات الموجودة بينهما ، لأن إيطاليا مازالت عضواً في التحالف الثلاثي الموجه ضد فرنسا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن يد إيطاليا لم تكن مطلقة في طرابلس ، بل مقيدة بما تفعله فرنسا في مراكش (٣) .

وعندما علم الباب العالي بنياً هذا الاتفاق اتصل بالحكومة الإنجليزية لتحذيرها من العواقب الخطيرة التي تترتب عليه فيما يتعلق بتهديد حدود مصر (٤) . ولكن تلك التحذيرات لم يكن لها أي أثر في ذلك الوقت لأن سياسة الحكومة الإنجليزية كانت ترمي إلى استرضاء إيطاليا بموافقتها على احتلال طرابلس .

(١) D.D.F., 2ème série, Tome II Munir Bey, Ambassadeur de Turquie à Paris, à M. Delcassé, D. no. 130, Paris, 12 Mars 1902.

(٢) D.D.F. 1ère série Tome I, M. Barrère, Ambassadeur de France à Rome, à M. Delcassé, D. no. 17, Rome, le 10 Janvier 1901.

(٣) محمد خير فارس : إنشأة المغرب (١٩٠٠ - ١٩١٢) ص ١٧٥ .

(٤) D.D.F., 2ème série, 1ère, série, Barrère à Delcassé D. No. 152, Rome, 21 Mars 1902.

## مراجع البحث

### المراجع العربية

- ١ - محمد خير فارس  
المسألة المغربية ١٩٠٠-١٩١٢ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦١
- ٢ - محمد رفعت  
تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية القاهرة ١٩٥٩ .
- ٣ - الدكتور محمد محمود السروجي :  
تاريخ أوروبا الدبلوماسية من السبعينات إلى الحرب العالمية الأولى .  
الاسكندرية ١٩٦٦ .
- ٤ - الدكتور محمد محمود السروجي :  
العلاقات بين مصر وأثيوبيا في القرن التاسع عشر- الاسكندرية ١٩٦١
- ٥ - الدكتور محمد محمود السروجي :  
العلاقات التونسية الفرنسية من الحياة إلى الاستقلال - الاسكندرية  
سنة ١٩٦٨ .
- ٦ - الدكتور محمد محمود السروجي :  
مصر والمسألة الشرقية في النصف الثاني لقرن التاسع عشر -  
الاسكندرية سنة ١٩٦٦ .
- ٧ - الدكتور نقولا زيادة :  
محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالى إلى الاستقلال  
القاهرة ١٩٥٨ .

## المراجع الأجنبية

### الوثائق :

Documents Diplomatiques Français, 1871 — 1914.

Ministère des Affaires Etrangères, Commission de publication des documents relatifs aux origines de la guerre de 1914.

### الكتب :

1. Daument, V. L'essor industriel et l'impérialisme. Paris: Presses Universitaires de France 1949.
2. Berard, V., Affaire du Maroc. Paris. Librairie Armand Colin. 1906.
3. Cachia, A'J., Libya under the Second Ottoman Occupation (1835—1911) Tripoli, The Government Press, 1945.
4. Croche, Benedetto, Histoire de l'Italie Contemporaine 1871—1915, traduction française de Henri Bedarida, Paris, Payot, 1929.
5. Marriott, Sir, J.A.R., The Makers of Modern Italy, London, Oxford, University Press, 1931.
6. Safwat, M. M., Tunis & The Great Powers, 1878 — 1881, Alexandria, P.F., Baganis, 1943.
7. Shotwell, James and Deak, Francis, Turkey at the Straits, New York, Macmillan, 1940.